مَدِينَةُ الدُّخَانِ

رواية للأطفال

السّن من : ١٠ - ١٤ سَنة

تأليف : فؤاد قنديل

رسوم : جرجس ممتاز



الهيئة المصرية العامة للكتاب

قنديل، فؤاد

مـدينة الدخـان/ فـؤاد قنديل .ــ القـاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

٤٤ ص؛ ٢٨ سم. رواية للأطفال من ١٠- ١٤

تدمك ١ ٥٢٢ ٤١٩ ٩٧٧

١ ـ قصص الأطفال

٢ - القصص العربية

أ. العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٩٩٩ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977 - 419 - 522 - 1

ديوى ٨١٣،٢

(١)

مثل كلِّ يوم، وقبل أن تبزُغ الشَمسُ، وتملأ الدنيا بنورِها.. يصحو راشدٌ من نومه، وتكونُ أُمُّه قد صحتْ وتنوى أن تُوقِظَه، لكنه بعد أن تعوَّدَ على الاستيقَاظِ مُبكِّرا، أصبح يسبِقُها ويصحُو قبلها.

يغسل وجهَهُ ويتوكّلُ على الله.. تعانقُه أمُّه وهى تشعرُ بالفخر؛ لأن ابنَها الذى بلغَ الرابعةَ عشَرة من عمرهِ منذ أيام قد أصبح رجلاً.

تقولُ فى سرِّها، وهى تسحبُ نفسًا عميقًا من الهواءِ الطازجِ النقى:

● ما أجمل أن يكرِّم الله الأم فى ولدِها فتراهُ رجلاً.. ياه.. الناسُ لا تدرى حلاوةَ ذلك وروعتَهُ.. ولدى أصبح رجلاً.. ليس لى فى الدنيا من هدفٍ ولا أملٍ إلا هذا.. الحمد لله.

يفتح راشدُ البابَ ليخرج، فيصفعُه هواءُ الشتاءِ الباردِ.. تشفقُ عليه أمُّه.. تطلبُ إليهِ أن ينتظر.. تغيبُ عنه لحظةً، وسرعان ما تعود وبيدِها كوفيةٌ قديمةٌ، تمدُّها إليه وهى تقول:

- لفّها حول رقبتِك.

يقول راشد: لا تشغلى بالكِ يا أمِّى.. الطاقية على رأسى تكفى.

تصرُّ قائلةً: -

- الدُّنيا بردٌ يا ولدى.. اسمعِ الكلام.

يتناول راشدُ الكُوفيّةَ .. يلُفها حول رقبته.. تتنهّدُ أمُّ راشد وتبتسمُ بعد أن اطمأنّت عليه.. يودِّعها راشد ويأخذُ الباب في يده.. تمسكُ الباب كى تخرج وراءهُ، لتراهُ وهو يمضى بسلامٍ فى الطريق .. يشيرُ إليها بالتوقُّفِ.. يجذبُ الباب خلفَهُ ويمضى، تاركًا أمّه خلفَ البابِ تدعُو له بالتوفيق.

يخرجُ راشدٌ من الحارةِ إلى الشارع.. تفاجئه موجاتٌ قويةٌ من البردِ.. ينفخُ أنفاسهُ فى يديه، يَأخذُ الشَهيقَ العميقَ وينفثُهُ فى يديه عدّة مراتٍ حتى يستشعر الدفء، ثم يرى أن يسرع الخطى، فقد ينال الكثير من الدفءِ، وفى الوقتِ نفسِهِ سيتمكّن من بلوغِ الشاطئِ فى وقتٍ أقل.

انطلقَ فى سيره لا يعبأُ بالبردِ، أحسّ بالحرارةِ تسرى فى بدنِهِ، كما شعر بأنه جاهزٌ تمامًا للعمل حتى الظهر.

(٢)

وضعت أمُّ راشدٍ اللبن على النَار، وذهبت لتوقظَ ولديها، ساعدتهما على الاغتسالِ وتجهيزِ كُتُبهما.. سقت كلاً منهما كوبًا من اللبن، وقبّلتهُما وهى تقول للكبيرة:

ـ إنَّكِ الأُولى على فصلكِ يا ثريا.. هكذا قالت المُدرسة.. كونى دائما هكذا.. أنا فرحةٌ بك.

هزَّت ثريا رأسها وهى تقولُ:

ـ إن شاءَ اللهُ يا أمِّى .. سأكونُ دائمًا عندَ حسنِ ظنِّكِ.

ثم قالت الأمُّ للصَّغير:

ـ وأنت يا فريد.. متى تتسلَّم شهادتُك؟

أجابها فريد: غدًا

قالت له: ليتها تكونُ أحسنَ من المرة الماضية.

نكَّس فريد رأسه، وهو يقولُ بصوتٍ خفيضٍ مُقلِّدًا ثريا:

ـ إن شاء الله يا أمى.

قالت لهما: هيا مع السلامة .. امسِكْ يدَ أختِك يا فريد.. لا تتركيه يا ثريا إلا داخلَ الفصلِ.

تذكرت أمُّ راشدٍ أن عليها الاستعداد لزيارةِ زوجها فى المستشفى..

قالت: يا رب اشفه، وأعدْهُ لنا سالمًا معافى.

كان عبدُ الرحمنِ أبو راشد قد رقد في البيت منذُ شهرٍ ونصف الشّهر، هاجمته الكُحّةُ التى تكادُ تخلعُ صدرهُ، ويزلزلُهُ السُّعالُ، فلا يستطيع أن يأخذ نفسه كاملاً، وإنما يتنفسُ نفسًا قصيرًا متعجلاً، كأنّه يلهثُ بعد أن ركض مسافةً طويلةً، وها هو فى المستشفى منذ عدةِ أيامٍ، بعد أن تمكّن منه المرضُ الصَّدرى.

قالت أم راشد:

- ربنا يستر.. قال الطبيب: إنه سيُشفى لكن العلاج ربما يطولُ .. الرئتانِ ملوثتانِ تمامًا.

طفرت الدموعُ من عينيْها.. وواصلت دعاءها:

- ربنا يشفيك يا عبد الرحمن.. لم أر رجلاً فى طيبتك، وحبِّكَ لأسرتك.. لكن السِّجائر كما قال الأطباءُ قضت على رئتيْك.. قلتُ لك يا عبد الرحمن منذ تزوجنا: دعْك من السِّجائر، وكنتَ تقولُ إنها لا تضرُ، وأنا لا أدخّنُ إلا القليل، ولست مثل الكثيرين الذين يدخِّنُون السِّجائر طيلةَ النهارِ ويشعلون السيِّجارة من السيِّجارة.

تذكرت أباها الذى كان يقولُ:

- لا أزوِّجُ ابنتى أبدًا لمدخنٍ حتى لو كان أغنى الأغنياء. لكنَّه كان يحبُّ عبد الرحمن، ووعدَه عبدُ الرحمن بأن يكفَّ عنها، لكنَّه لم يكف، كان يمتنعُ عن التَّدخينِ فقط إذا حضرَ أبى.. ما العمل الآن يا رب؟.. أنتَ مطَّلعُ على كلِّ شىءٍ وعالمٌ بأحوالِنَا.

تنبهت إلى أنَّها لابدَ أن تذهبَ إليه، وتعود قبل عودةِ الأولاد.

مضت على عجلٍ تكنسُ وتنظفُ وتعيدُ ترتيبَ الأسرَّةِ وتملأُ القُلل، ثم جمعت بعض الأشياءِ التى طلَبهَا زوجُها، مثل أمواسِ الحلاقةِ والجلبابِ الصوف، والفانلة الصُّوف ذات الأكمام، والطاقية وبعضِ المناديلِ، وكتابِ الله وسجادةِ الصلاةِ والمسبحةِ.

أغلقت البابَ وأسرعت إلى المستشفى التى تقعُ على بُعْدِ كيلو متر .. قررت أن تمشى كما تفعل كل مرة، فليس هناك نقودٌ لأجرة الركوب.



سارت تحدّثُ نفسهَا وتتسلَّى لتقطعَ الطريقَ:

ـ لا أدرى ما الذى كان سيحدث لنا لولا راشد.. الله يعينُه .. ترك من أجلنا المدرسةَ عندما رقدَ أبوه.. زملاؤه يتعلمُون ويتنزّهون ويلعبُون، وهو الصَّغيرُ يظلُّ يشقى من الفجرِ إلى ما بعد الظهرِ، ويعودُ مرةً أخرى عند الغروب، الحمدُ لله. لا حال يدومُ كما هو.. وكلُّ بيتٍ يمرُّ بفترة معاناةٍ وأزمةٍ.. وغدًا يفرّجُها الذى لا يغفلُ ولا ينام.

(٣)

وصل راشدٌ إلى شاطئ النَّهرِ.. هبطَت الدَّرجات الحجرية.. قفز إلى القارب.. فكّ الحبل الملفوف حول جذعِ شجرةٍ كبيرةٍ تظلِّلَ الشاطئ.. كان الجذرُ قد تحسَّس طريقَهُ إلى الماءِ فأخذ يمتدُ ويمتد حتى لمس مياه النهر، فاستقرَ هناك ومضى يهبِطُ فى أعماقِ الأرض حتى أصبح أقوى من الحديد.

فرح القاربُ بالحريّةِ.. اهتزّ فوق الماءِ.. والمياهُ نفسُها لاحظت أن القارب أصبح حرًا.. فسحبتْهُ إليها.. ودفعهُ راشدٌ ببطنِ قدمهِ دفعةً قويةً قبل أن يقفز إليه.

بعد لحظاتٍ قليلةٍ، كان القاربُ وسطَ النَّهرِ الكبيرِ مستمتعًا بالزَّحفِ فوق صفحةِ المياهِ الحنونِ التى تهزُّهُ هزاتٍ رقيقةٍ.

رفعَ راشدٌ رأسَهُ إلى السماءِ، كانت بعضُ النجومِ مازالت هناك.. النُورُ الرّماديٌّ يتسلَّلُ وينتشرُ.. الجوُّ باردٌ والنّدى يغطى قممَ الأشجارِ والبيوت.

عندما أرسلَ نظراتَهُ إلى الجانب الآخر من النيلِ لمح بعضَ المصابيحَ لا تزال تشعُّ أنوارًا خافتةً كالتى تبثُّها النجومُ قبل أن يسقطَ على الجميعِ نورُ الشّمسِ المهيبِ.

انحنى راشد وأمسكَ بشبكةِ الصَّيدِ.. وكانت كومةٌ من خيوط الدُّوبارة.. تتعلَق بها قطعُ الرّصاصِ التى تثقلُها فتهبط إلى الماء.

هزَّ كومةَ الخيوطِ .. رفعها إلى أعلى.. بسطَها وهزّها مرةً ثانيةً وثالثةً.. علَّمهُ عمُّهُ

شاهين كيف يمسكُ بأطرافها بين أصابع يده اليسرى، وكيف يتخلَّلُ خيوطَهَا بأصابع يده اليمنى، ويتأكدُ من عدم تعقُّدِ حبالها.

رفعها رفعةً واحدةً وقذفها بقوةٍ على شكلِ نصفِ دائرةٍ. طارت فى الفضاءِ وهبطت إلى الماء، وسرعانَ ما اختفت فيه.

علَّمهُ عمُّه شاهين أن أفضل أوقات الصيدِ هى التى تنطلقُ فيها الأسماكُ لتبحثَ عن الطعامِ .. ويكون ذلك عند شروق الشمس وعند الغروب.

قال له: إن السمكَ موجودٌ دائمًا فى الماء، قد يكونُ موزَّعًا هنا وهناك.. لكنَّ ساعةَ الطعامِ، تتجمّعُ الأسماكُ فى أسرابٍ وجماعاتٍ لتناول طعامها.

بعد أن رقد أبوه تحتَ وطأةِ المرض، ولم يعد قادرًا على العمل.. علِمَ العمُّ شاهين أن راشدًا ابن أخيه عبد الرحمن قد ترك المدرسة فجأةً، ونزل إلى الشوارع يبحثُ عن عمل.. فكبُر فى عينيه، وقرر أن يساعده.. عرض عليه أن يعلِّمه الصيد، ويسلِّمه القارب الذى تركه على الشاطئ منذ شهورٍ، واكتفى بأن يفتح دكانه الذى يبيعُ فيه السمك بكلِّ أنواعه مع الجمبرى والكابوريا.

أنجب شاهين بنتين، وجاء بعدهما بسنواتٍ طويلةٍ ولدٌ صغيرٌ، لا يزالُ فى عامه الأول، كان شاهين هو الأخُ الأكبرُ لعبد الرحمن، وأحسَّ أنه غيرُ قادرٍ على مواصلةِ الصيدِ، فترك القارب وأرجأ مؤقتًا فكرة بيعه، وأراد اللهُ أن يهيِّئ الظروف حتى يجد راشدٌ عملاً ينفق من دخله إلى أسرته.

كان شاهين نِعْم العم ونعم الأخ.. قال لراشد:

القاربُ لك.. تعملُ عليه فقط، وعندما تقرِّر تركه، سلّمه لى مرة أخرى.. لكن لا يحقُّ لك أن تبيعَه، وأنا أُعطيه لك لسببين. هل تعرفُ ما هما؟

فكَّر راشدٌ وقال: أعرفُ سببًا واحدًا.

سأله عمه عنه، قال راشدٌ:

- إنك تعطينى القارب لأنك عمى، وأنتَ مسئولٌ عنى بعد أبى.

قال العم:

ـ هذا صحيحٌ. إنه حقك على يا ولدى.. أن أساعدك وأساعدَ أهلك، لكن السبب الثانى هو أنك فكرت فى العملِ عندما وجدتُ أسرتك فى حاجةٍ إلى ذلك، بعد أن فاجأ المرضُ أباك وثقل عليه حتى منعَهُ من العمل.

قال راشد: يا عمى هذا هو التصرف الطبيعى.. وهذا هو الواجب.

قال العم: أحسنت.. هذا هو الواجبُ .. وقد علَّمنا آباؤنا أن نحيِّى ونحترمُ من يعرفُ الواجبَ ويؤديه.

قال راشدٌ: شكرا لك أيها العمُّ الطيبُ

قال العم وهو يعانق راشدًا بشدةٍ وفى عينيه دموعٌ وليدةٌ:

ـ أنت ولدى.. وأنا أبوك الثانى.. أنا فخور بك.

قال راشدٌ: شكرًا يا عمى.. متّعك الله بالصحة.

أبعدَ العمُّ ابن أخيه عنه وهو يقول:

لقد تعلمتَّ الصيدَ جيدًا وراقبتك وأنت تُخْرِجُ سمكًا كبيرًا.. فهيا إلى العمل وحدك

سأل راشدٌ: لكنك لم تقلْ لى، ماذا أفعلُ بالسمكِ الذى أصيدَهُ؟

قال العم بسرعةٍ: أنت حرٌّ.. هو رزقك فافعل به ما تشاء وأنا أحد المشترين، إما أن تبيع لى أو لغيرى.. لا توجد مشاكلُ أبدًا، وإذا جاء يومٌ لم تجد فيه من يشترى منك، فهات السمك إلى الدكانِ وخذْ ثمنَهُ .. هيا.. على بركة الله.

مرَّ الآن شهرٌ تقريبًا، وراشدٌ يصيدُ السمك مرتين فى اليوم، ويحملُ السمكَ إلى عمه، وأحيانًا إذا امتلأ القاربُ مبكرًا يضطرُّ لبيعهِ للمشترين الذين يأتون إلى الشاطئ. سواءٌ كانوا أفرادًا عاديين يشترون السمك لبيوتهم، أو كانوا تُجّارًا أصحاب محلاتٍ.. لكنهم يفتحونَها قبل عمِّه الذى لا يفتحُ محلَّه قبل الظهر.

راضٍ هو عن صيد السمك.. مهنةٌ هادئةٌ وعائدُها طيبٌ .. أخيرًا.. استقر على عملٍ ينفقُ منه على أسرتهِ بعد الشَّقَاءِ والعناءِ والإهانةِ التى لقَيَها فى كل الأعمالِ التى حاولَ

الاشتغالَ بها. أسبوعان لم يرْ خلالهما يومًا واحدًا يسرُّ القلب، لا عند الجزَّارِ الذى فاجأهُ بصفعةٍ ثقيلةٍ بيده السمينة أفقدته الوعى، لأن فخذَ البهيمةِ وقع منه على الأرضِ وكان قد اعتقد أنَّ الخطّاف أمسكَ به، لكنَّه أفلت.. ولا عند الميكانيكى الذى كان مدمنًا للسُّبَابِ وإهانةِ كل عزيزٍ حتى دون أن يخطئ. لذلك تركَهُ ولم يَعُدْ إليه.

عند بائع الحبوب فوجئ به يطلب منه أن ينقل جوالات الفول والذرة والعدس والحلبة من العربة الكبيرة إلى عمق الدكان.. الجوال يزيد على خمسين كيلو جرامًا.. نقل أربعة وسقط الخامس فوقه وكاد يكتم أنفاسه.

صاحب المكتبة اتهمه بالسرقة.. أقسم له بالله وبالقرآن وبكل غال أنه لم يأخذ مليمًا، لم يصدق، اضطر أن يقول له: ربما كان فوزى ابنك، لأنه حضر بعض الوقت أثناء غيابك.. لم يصدق وزادت ثورته؛ لأن كلام راشد يعنى أن ولده هو السارق.. وهكذا تركه ولم يعد إليه..

يقول راشد: عند زكى الحلاق لم تحدث مشاكل، لكن عملى كان هز المروحة طيلة النهار فوق رءوس الزبائن لإبعاد الذباب والتهوية لهم .. مهنة مملة بالنسبة للصبى، وهى طبعًا ليست مملة لصاحبها أو من يقوم بالعمل الأصلى.. ياه.. فترة لا تنسى أبدًا.. الحمد لله.. انتهى زمن الشقاء.. الآن نصيد السمك.

لم تكن المسألة سهلة فى البداية .. صحيح أن السمك فى الماء، والشبكة تنزل إليه وتفتح صدرها وتحاول أن تجمع أكبر كمية من السمك، والفتى فى القارب يبذل كل جهده ليجذب الشبكة، لكن السمك يبذل كل جهده هو الآخر لكى يفر منها، وأحيانا يكون معظم المحصول صغيرًا جدًا، ويضطر راشد أن يعيده مرة أخرى، وأحيانا يكون أغلب ما فى الشبكة مهملات.. علبة صفيح.. فردة حذاء.. أعشابًا بحرية.. قطعًا صغيرة من الخشب.. زجاجات بلاستيكية.

بالرغم من هذا فقط استطاع بعد محاولات كثيرة أن يحصل على كميات طيبة من السمك، بجهده المنفرد.. وكان فى كل مرة يتأمل ويدرس المحصول، ويحاول أن يعرف السبب.. متى يحصل على السمك الكبير وأين؟..

ماذا يفعل بالضبط ليحصل عليه؟.. لقد تعلّم بنفسهِ الكثير من خلال الممارسةِ والتجربةِ إضافةً إلى ما علَّمَهُ له عمه.

وهو لم يعدْ يجيدُ الصيدَ فقط، بل أحبَّ هذا العمل وأحبَّ الرحلةَ اليوميةَ، وإذا عادَ إلى البيت مرهقًا.. أكل ونام قليلاً، لكنه سرعان ما يشتاقُ إلى المشهدِ الجميل.. مشهدُ الشبكةِ وهى تخرجُ من الماءِ وتستقرُّ على أرضِ القاربِ، وبين خيوطها يتقافزُ السمكُ الفضىُّ الذى يتألقُ تحتَ أشعَّةِ الشمسِ.. يتلوى ويثور، غاضبًا ورافضًا للقيود، باحثًا عن منفذٍ للهربِ من أسرِ الشبكةِ والعودة بأقصى سرعةٍ إلى وطنهِ وبيتهِ الحبيب.. الماء.

أسماكٌ جميلةٌ.. متعددةُ الأشكال .. طويلةٌ وقصيرةٌ.. عريضةٌ ورفيعةٌ.. ذيولُها وعيونُها وأفواهُها.. معرضٌ جذابٌ تتجلَّى فيه عظمةُ الخالق سبحانه وتعالى.

يقول راشدٌ بعد أن نضجَ وتمرَّس بالمهنةِ التى تُعلِّمُ الصبرَ والتأملَ والرِّضا:

ـ هذه المهنة تقرِّبُ الإنسانَ من الله.. إذ كل شىءٍ واضحٌ جدًا.. إنَّه بيدِه.. فليسَ فى هذا العملِ إلا أنا و الشبكة، والمؤكدُ أنَّ الله الذى يرعى السمكَ فى المياه، ثمَّ يسهِّلُ للشبكةِ الحصول عليه لنأكل نحن بنى الإنسان، وكم هو رائعٌ مشهدُ السمكِ الطالعِ فى لحظتهِ من الماءِ.. جميلاً وعفيًا لا يشغله شىءٌ إلا الحريَّة والحياة.. الحريَّةُ تردُّه إلى الماءِ، وفى الماءِ يجدُ الحياة.

(٤)

سألت أم راشدٍ زوجها عبد الرحمن عن أحواله

قال لها وهو يكحُّ: الحمد لله.. ظهرت اليوم الأشعّاتُ التى أخذها الأطباء لصدرى.

سألته: وماذا قالوا عن الحالة؟

أجابها وهو يتنفسُ بصعوبةٍ:

قال الطبيبُ .. السكَّنُ بالقربِ من شَرِكَةِ الأسمنتِ هو السببُ، كما أن السياراتِ التى تمر علينا كثيرةٌ جداً، تملأُ الفضاء بالهبابِ والسُّخامِ ونحن نتنفسُه.

قالت أم راشد:

- يا عبد الرحمن .. أنت لا تريد أن تعترف أن السَّجَائر هى السببُ.

زادت الكُحةُ وارتجَّ صدرهُ، ولما وَجدَ الفُرْصةَ قال:

- يا أم راشد.. الأطباء قالوا التلوث.

قالت بثقة: وأنا أقول السجائر.

قهقه عبد الرحمن مندهشاً من إصرار زوجته وحديثها الواثق وكأنها تعلم أكثر من الأطباءِ.

سألته: هل أنت فقط الذى يتلوث صدره، ولماذا لم يُصيبْ كلُّ سكانِ الحيِ؟



تنبه عبد الرحمن للملاحظةِ الذكيةِ وأحنى رأسه.

وقال: الأطباءُ حذرونى منها، وطلبوا منى أن أنتقل من هذا الحى وأسكُن فى الريف.. المدينةُ مُضِرةٌ جدًا بالصحة.

سألته زوجته: وأين نسكن؟ .. نحن وُلِدْنَا هنا ونعيش هنا، ووسطَ أهلِنا، وأنت تعملُ هنا.

قال: ربنا يحلَّها وكل شىء بأوانٍ .. المهم الشفاء.

سألته: وماذا قال الأطباء عن العلاج؟

قال: سيضعون على صدرى جهازًا ينفخُ فى رئتىَّ هواء لإزالةِ ما بهما، ويحاولون تخليصهما من الهباب وهذا إجراءٌ مؤقتٌ.. المهم البحث عن مكانٍ فيه هواءٌ نظيفٌ.. ستسوءُ حالتى بسبب عادمِ السياراتِ ودخان المصانع.

ناولته كوب ماءٍ وساعدتُهُ على النُّهوضِ ليكُحّ وهو فى وضعٍ مريحٍ.. قالت:

- ستُشفى إن شاء الله

سألها: كيف حال راشد؟

قالت: بخير.. ذكرتنى.. خُذْ هذه السمكة .. قال راشد:

- خلِّى هذه السَّمكة لأبى وقد شويتها لك.

دُهشَ عبد الرحمن لمنظر السمكة، وأسرع يأكلُ منها قطعةً بعد قطعة، ثم قال:

- يا سلام على كرم الله.. سمكةٌ كبيرةٌ ولذيذةٌ..

نظرت إليه زوجتُه ورأت سعادتَهُ بالسمكةِ وفرحَهُ برجُولَةِ ولدِهِ وتحمُّلِهِ المسئولية.. كانت تود لو تقول له: إنها حزينة لأن راشد ترك المدرسة لكنها منعت نفسها حتى لا تُحرِّكَ أحزَانَهُ، هو يحتاج أن يفرح.. يكفيه عبءُ المرضِ .. لا داعى لأن يحملَ الهمَّ أيضًا.

بعد قليلٍ لاحظت أم راشد أن النور بالحجرة يقل وأشعة الشمس تختفى.. تطلعت

إلى السَّماءِ عبرَ النافذةِ.. كانت سُحبٌ كثيرةٌ تتجمعُ وتتكدسُ، وتكاد تقتربُ من أسْقُفِ المباني. خشيت أن يمنعها المطرُ من العودةِ .. ها هي قد اطمأنت على زوجها وعلمت بما استقر عليه رأيُ الأطباء..

استأذنت في الانصراف.. عادت بسرعةٍ إلى بيتها حتى تعد لأولادِها طعامَ الغذاءِ.

(٥)

واصل راشد رمى الشبكة فى عدة أماكن من النيل، وفى كل مرة يجمعها لا يجد فيها إلا القليل من السمك الصغير والباقى بعض المهملات والأعشاب، فيعيدها ويسلك الدوبار، ويفحص الشبكة من جديد ليتأكد أنها ليست ممزقة فى أى موضع فيها ويسمى باسم الله ثم يلقيها، وبعد قليل يجمعها فيجدها على نفس الحال.

فكر راشد وتساءل.. لماذا يهرب منه السمك اليوم.. لقد ارتفعت الشمس وأصبحت فوق رأسه، وهو لم يجمع غير كيلو واحد من السمك تقريبا، وهذه الكمية قليلة جدا لا يعين ثمنها على سد نفقات الأسرة.

قال له عمه: كل شىء بأمر الله.. فى البر أو فى البحر.. وعليك أن تبذل أقصى جهدك، ولتكن النتيجة ما تكون.. لا تغضب حتى لو عدت فارغ اليدين.

كانت كلمات العم محفورة فى رأسه وقلبه لكنه قال:

يبقى أن أبذل أقصى الجهد.. فهل أنا حقًا بذلت أقصى الجهد؟.. أظننى لم أبذل بعد ما يكفى رغم مرور الوقت..

أنا لم أتعبْ وربما أكونُ قد مللت، لأنى لا أرى نتيجةً مشجعةً، لكن ما قيمة الصبر إذا لم أحاول مرةً ومرة، لقد تيسَّر لى فى السابق الحصولُ على سمكٍ كثيرٍ بجهدٍ أقل، لكن الأيام ليست متشابهة سوف أغيِّرُ المكانَ وأطيلُ الحبلَ.

كان قد رأى حبلاً طويلاً فى ركنٍ من أركانِ الزورقِ على شكلِ دولابٍ صغيرٍ له باب..

فتح البابَ وسحبَ الحبلَ وجلسَ يربطهُ بالشبكةِ، واطمأن إلى متانتهِ، وعاد يفحصُ الشبكةَ كلها من جديدٍ.

وقف يتأملُ النهرَ الكبيرَ وينظرُ إلى شاطئيه.. المياهُ ممتدةٌ أمامه.. لكنها غامضةٌ، لايستطيع أن يقرأ على صفحته ما يدلُّه على مكانِ وجودِ السمك ومن المؤكد أن هناك آلاف الكيلو جرامات تحت هذا السطح اللامعِ.

قررَ أن يُلقى شبكتهُ عند الكوبرى الثانى البعيد.. عليه إذًا أن يُجدف مسافةً طويلةً ضد التيار.. لا بأس أن يتعبُ قليلاً.. هو على ثقة أن الغابَ والأشجارَ التى تتكاثفُ هناك ربما تحتضن حولها أسماكًا كثيرةً.

مضى يجدفُ بحماسٍ، ولم يتوقف برغم التهابِ جلدِ كفَّيه، ولإحساسه بالألم فى ساعديه، أخذَ يلهثُ من شدةِ المجهود، لكنه أخيرًا وصل إلى المكانِ الذى يريد أن يصيد فيه، والأملُ يراودُ قلبه بأنه سيجمعُ محصولاً وفيرًا من تلك المخلوقاتِ الجميلةِ التى يحبُّها، ويسعدُ برؤيتها أكثر من سعادته بتذوقِ لحمها.

جمع الشبكة وهزَّها وبسطَ أطرافَها، ثم انحنى واندفع بنصفه الأعلى مطلقًا خيوطَها إلى أبعد مسافةٍ ممكنةٍ.

هبطت الشبكةُ على الماء ونفذت فيه.. مدّ لها الحبل الطويل لتصل الشبكةُ إلى أعمق مكانٍ، حتى لو كان قاع النهرِ الذى لا تصلُ إليه أيةُ شبكةٍ، بعد لحظاتٍ مرّ به قارب الشرطة النهرية، وكان به خاله الرقيب يحيى، حيَّاه وسأله عن حاجته وأحواله.. شكره راشدٌ فأسرع يحيى بقاربه الذى يديره محرك يشق سطح الماء إلى نصفين وفى لحظات غاب عن عينيه.

قال فى نفسه:

ـ سمعت من يقولُ إن بالقاعِ سمكًا ملونًا وغريبًا ليس كالسمك الذى يجرى بالقرب من السطح .. سمك نادر، يخشى الاقتراب من السطح حتى لا يصيدُه الإنسانُ.. لابد أن أهلَهُ حذَّرُوه، وكبارُهُ أصحابُ التجاربِ منعوه من الصعود والابتعادِ حفاظًا على حياته، وأمروه أن يعيش معهم فى القاعِ حيث الأمان والتكاثرَ.. يكفينى أن أرى سمكةً

جديدةً غير السمك الذى حصلتُ عليه. قالوا: إن بعض السمك فى بحارٍ بعيدةٍ يشبه الخيولُ وبعضَها يشبه الديوك له عرف، وبعضها يشبه الورقةَ، وبعضَها يقتربُ شكلُهُ من الخنجرِ أو السكين.. بعضها له منقارٌ، وبعضها مستديرٌ.. سبحان الله.

مضى راشد يتمنى ويتصور:

- لو كانت ملونةٌ أو مختلفةٌ فى الشكل سوف أحتفظُ بها، ولنأكل اليوم أى شىء.. الجبنُ فى البيت وكذلك البطاطسُ، ويمكننا أن ندفع ثمن الخبزِ غدًا.. فكر أن يسحبَ الشبكةَ، لكنه تراجع، وقرر أن يصبر.. يصبر كثيرًا.

تمنى أن يكونَ معه الآن كتابٌ ليقرأ فيه.. لقد اشتاق إلى القراءة.. إلى المعلوماتِ والقصصِ وسيرةِ حياةِ الأبطالِ والعلماء.. سوف يحضرُ كتابًا مشوقًا، ويحتفظُ به فى القارب ليتسلى به حتى لا يضيق ويتعجل إخراج الشبكة.

تمدَّد قليلاً فى قاعِ الزورقِ، وتطلّع إلى السماء.. لكنه لم يستطع أن يفتح عينيه، فقد كانت الشمس فوقه مباشرة بسط كفَّهُ فوق عينيه لينظر إلى الأفق البعيد.

رأى بعض السُّحب تتمشّى على صفحة السماء.. حدَّق فيها.. كانت على شكل سمكٍ ملونٍ يتراقصُ ويتلوى.. له أجنحةٌ ذهبيةٌ وَأجسادٌ فضيةٌ ورءوسٌ حمراء وعيونٌ كبيرةٌ خضراء، تلمعُ وتعكسُ أشعة الشمسِ ورأى صورتَهُ على صفحة العيونِ جميعًا..

ابتسمَ.. ورقص قلبه لهذا المشهد البديع.. السحب مازالت تمشى كسربٍ من السمك الملونِ الجميلِ.. يسير فى أمانٍ وسعادةٍ.

أغمض عينيه.. أخذ نفسًا عميقًا، وعاد يتطلع. كانت السماء الزرقاء صافية وخالية تمامًا من كل شىء. نهض وهو يقول:

- يا شبكتى العزيزة.. آن الأوان كى تخرجى، ونعود إلى البيت.. ونحمد الله على ما رزقنا.. هيا إلى العمل.

سحب الحبل.. فى البداية خرج معه فى يسر.. لكنه بعد عدة أمتار أصبح ثقيلاً، واضطر راشد أن يبذل جهدًا ليجذبه، واصل الجذب إلى أن ظهرت بداية الشبكة وازداد ثقلها..

انحنى راشد ليجرها من الماء، وقبل أن يستكمل إخراجها.. تعب، فجلس فى القارب موجهًا قدميه إلى سوره السفلى، وهو لا يزال قابضًا على طرف الشبكة.

التقط أنفاسه، وانتظر لحظاتٍ حتى استجمع قوتَهُ ونهض ليعاودَ الجذب، حتى تمكن أخيرًا من إخراجِها كاملةً، وسقطَ فى قاعِ الزورقِ وهى فوقه.

رأى وهو منطرح على ظهره الأسماك الكبيرة والصغيرة.. الذهبية والفضية، وهى تتقافز وتنثر ذرات الماء من فوق أجسامها وترتطم بدوبار الشبكة والذرات تتألق كالبلور عندما تسقط عليها أشعة الشمس.

كان قلبه يرقص فرحًا.. الشبكة عامرة.. الحمد لله. قالها وهو سعيد جدا.. لقد نجحت خطته بإطالة الحبل وبالصيد فى هذا المكان البعيد عن العمران والخالى من الصيادين.

تطلع إلى السماء.. لم ير فيها سمكًا ملونًا.. السمك الآن فى شبكته.

هب واقفًا أحضر الجوال الكبير وألقى فيه سمكة بعد أخرى.. كان منها ما يفر من يديه ويسقط فيتابعه بسرعة ويقبض عليه ثم يرميه فى الجوال.

هذه أكبر كمية أمكنه أن يصيدها.. ربما تتجاوز عشرة كيلو جرامات.. سوف يدهش عمه، وتفرح أمه.

- الحمد لله.. ما هذا الكرم؟! .. ما هذا الخير؟!.. الدنيا جميلة، مادام الإنسان يفكر ويعمل الخير فسوف يحصل على الخير الوفير.

مضى ينقل السمك من الشبكة إلى الجوال حتى فرغت الشبكة من السمك ولم يبق.. إلا..

- ما هذا؟

وجد بالشبكة تمثالاً لطائر أصفر.. حجمه يماثل حجم القدم.. قدم الرجل.. لقد رأى مثل هذا الطائر من قبل. نعم .. طائر لا يذكر اسمه.. له منقاران.. واحد خلف رأسه وواحد فى فمه.. اسمه.. نعم.. هدهد.. الهدهد.

أمسك بالتمثال .. كان ثقيلاً.. قلبه بين يديه .. تساءل:

- هل يمكن أن يكون من الذهب؟ إذا كان من الذهب فهو لابد غال جدا.. إنه ثروة بعثها الله إلينا.

استمر يقلب فيه، يحاول البحث عن ثقب أو فتحة.. لم يجد غير بعض النقوش فى أسفله، من بينها رسم لعصفورٍ وأوزة.

أحس فجأة بحرارة الشمس.. عاد بالزورق إلى مرساه.. ربطه فى جذع الشجرة الكبيرة.. رفع الجوال بصعوبة إلى كتفه.. حمل التمثال فى يده.. على الشاطئ عثر على صفحة من جريدة.. لف فيها التمثال.. حمل السمك إلى عمه.. وزنه وسلمه النقود.. عاد راشد إلى البيت.. سلم على والدته وأعطاها النقود.. فرحت بها، وقبلت راشدًا.. شكرت الله الذى لا ينسى أبدًا عباده.

قالت: بهذا المبلغ نستطيع أن نشترى تموين البيت لمدة أسبوع على الأقل.

عادت تقبل ولدها، الذى قال لها:

- أغمضى عينيك لحظة.

أغمضت عينيها.. فض الورقة وأخرج منها الهدهد.

قال لها: ما رأيك؟ .. لقد طلع لى مع السمك.

فتحت عينيها ورأت الهدهد.. انفتح فمها فجأة وهى تشهق دهشة.

- ما هذا؟ هدهد.. تمثال!!

أمسكته وقلبته.

- ذهب يا راشد.. ذهب.

لمعت عيونهما معًا.

صرخت الأم: مستحيل..

عادت تعانق ولدها وتقول:

ـ أحمدك يا رب .. تصور يا راشد، أحيانًا أقول لو لم يمرض أبوك، ما أتيحت الفرصة كى أراك رجلاً، ولا عرفت كرم عمك ومروءته، ولا عثرت أنت على هذا الهدهد الذهبى.

سألها: هل حقًا يكون من الذهب.. يا أمى؟

قالت: أنا على ثقة أنه ذهب.

قال لها: ما رأيك أن نسأل والد زميلى شكرى فهو صاحب محل ذهب.

قالت وهى تقبض على التمثال:

ـ لا.. لن نسأل أحدًا.. سنحتفظ به حتى يخرج أبوك بالسلامة، ويتصرف حسب ما يرى.

قال راشد: نعم الرأى.. لكن أين ستحتفظين به؟

قالت: سنلفه فى جلباب قديم ونخفيه فى السندرة فوق المطبخ.. لا أحد يقترب منها أبدًا.. إياك أن تلفظ عنه بكلمة واحدة لأى مخلوق ولا حتى لأخوتك.. هل تسمعنى؟

قال راشد: أسمعك يا أمى.. أنا حريص عليه مثلك تماما.

قالت أمه: مادمت تقول هذا.. فهذا دلالة أخرى على أنك أصبحت رجلاً بحق.. تتحمل المسئولية وتحافظ على السر.. هيا الآن لتأكل.

قال راشد: ذكرتنى.. إننى جائع جدًا.. لكن أرجو ألا يكون الطعام سمكًا.

قالت: لا.. السمك المتبقى من أمس حملته لأبيك.. ليس عندنا غير البطاطس.. صينية فى الفرن لذيذة جدًا.

قال: أحبها جدًا.

قالت أمه: هيا اغتسل جيدًا.. إخوتك على وشك الوصول.. سوف نأكل معًا.

(٦)

بعد منتصف الليل استيقظ راشد وهو يشعر بالبرد وسمع أخاه فريدًا يشكو البرد أيضًا.. وضع كل الأغطية عليه، لكنه ظل يرتعد. تذكر راشد أن والده كان أحيانًا يشعل النار فى وعاء من الصاج مملوء بالتراب.. سحبه من تحت السرير، وجمع بعض الأخشاب والأغصان الجافة من فوق السطح. أوقد فيها النار .. وجلس أمامها يستدفئ وسرى الدفء فى كل مكان ولم يعد فريد يرتعد.

لم يجد رغبة فى النوم. تذكر الهدهد.. اشتاق أن يراه تسلل إلى الصندرة.. أحضر لفافة الهدهد.. أخرجه وأجلسه إلى جواره بالقرب من النار.. كان اللون الذهبى يتألق بشدة حتى ليكاد يضئ من انعكاس النار عليه.

أخذ راشد ينظر إلى الهدهد ويتعجب لمنظره.. شكل رأسه .. جسمه وجناحيه.. ذيله وقدميه.. الهدهد ينظر إلى النار فى ثبات.. تحفة جميلة.

بعد لحظات فوجئ راشد أن الهدهد يهتز هزة خفيفة. دقّق النظر.. تأكد أن الهدهد يهتز.. مسح عينيه، لابد أنه يود أن ينام.

عاد ينظر إلى الهدهد.. زادت هزاته.. أصبحت نقرًا على الأرض.. فزع راشد.. ارتعد .. تلفت حواليه.. هل هو زلزال؟!.. لم يكن هناك ما يتحرك غير الهدهد.. تزايدت الدقات، إلى أن فوجئ راشد بجناح الهدهد يتشقق، ثم يرى الصدر ينفتح ويزداد الطرق، ثم تخرج كمية من الدخان من بطن الهدهد.

يقع راشد على الأرض.. ينظر إلى كمية الدخان التى ارتفعت إلى السقف، وسمع صوت كحة، لم يكن مصدرها فريد، وإنما هذا الدخان الذى ازدادت كثافته فى الوسط، وتجمعت وتحددت ملامحها تدريجيًا ليخرج منها ولد أسمر اللون فى مثل سن راشد.. يلبس جلبابًا أبيض قصيرًا بدون أكمام ولا ياقة، شعره طويل أسود متهدل فوق الأذنين.

مستقر فوق رأسه كأنه مبتل.

ابتسم الولد فبانت أسنانه البيضاء.. قال:

ـ الحمد لله.. السلام عليكم.

كان الرعب قد امتلك راشدًا تمامًا، ولم ينفعه أنه كان يعرف قصة علاء الدين والمصباح السحرى، فقد كان الموقف مدهشًا ومفاجئًا ومخيفًا.

قال الولد:

ـ شكرًا لك.. لقد أعدت إلى الحياة .. من أنت؟

بحث راشد طويلاً عن صوته، إلى أن قال:

ـ أنا راشد.

قال الولد مندهشًا:

ـ راشد .. لم يكن أحد من جيراننا له هذا الاسم بل ليس فى بلادنا كلها أحد يحمل هذا الاسم.

تجرأ راشد وسأله: ومن أنت؟

قال الولد: آنى

سأله راشد: نعم أنت.

قال الولد: آنى

سأله من جديد: ما اسمك؟

قال الولد: أنى.

قال راشد: أنا اسمى راشد، فما اسمك أنت؟

قال الولد الأسمر وهو يبتسم مندهشاً: قلت لك اسمى أنى.

ابتسم راشد وقال:

- فهمت.. هذا اسم جديد علينا.. هناك اسم قريب منه هو هانى.

سحب الولد ابتسامته وقال:

- أنى وليس هانى.

انقشع الدخان تماماً، وجلس أنى على الأرض.

سأله راشد: هل أنت بشر مثلنا؟

قال أنى: ألا ترانى كذلك؟

قال راشد: رأيتك تخرج من الهدهد فى زوبعة من دخان،

قال أنى: لذلك قصة طويلة.

قال راشد باهتمام: أريد أن أعرفها.

قال أنى: هذا هو حقك .. فأنت الذى أنقذت حياتى وأطلقتنى من الأسر.

قال راشد فى نفسه: ليت أمى الآن مستيقظة لترى وتسمع.. بيتنا يشهد حدثًا غريبًا، لم يحدث فى أى بيت.. أم تراه يكون حلمًا؟

قرص فخذه بقوة فتألم.. إذًا فهو ليس فى حلم وإنها الحقيقة المدهشة.

كان أنى صامتا يتلفت فى خجل.

قال راشد: هيا.. يا أنى احك.

قال أنى: بصراح أنا جائع.

هب راشد وأحضر صينية البطاطس وبعض الأرز ورغيفين، لم يأكل الضيف ونكس نظراته إلى الأرض.

قال راشد: هيا.

قال آني: هل يمكن أن تبتعد عنى قليلاً لأنى لا أحب أن يرانى أحد وأنا آكل إلا إذا كان يأكل معى.

تعجب راشد لسلوك ضيفه، لكنه احترم رغبته، وذهب إلى دورة المياه.. هجم آنى على الطعام.. كان يبدو أنه جائع جدًا.. ظل يأكل حتى قضى على كل ما أحضره راشد.. أحضر له راشد الماء، وجلسا يتحدثان.

قال آنى: فى البداية أحب أن تعرف أننى سأشارك فى استقبال الملك.

سأله راشد: أى ملك؟ .. نحن دولة بلا ملك ولكن الذى يحكمها رئيس.

قال آنى: يا راشد.. ألسنا فى مصر، وأنت أخرجتنى من النيل؟

قال راشد: نعم.

آنى: فكيف لا تعرف أن الملك الفرعون ابن الإله آمون رع سيقام الاحتفال بنصره غدًا، وكلفتنى الآلهة أنا وبعض التلاميذ للمشاركة فى حفل الاستقبال.

استولت الدهشة على راشد:

- آمون رع.. فرعون.. هل هذا ممكن؟! .. ومن الملك.. ما اسمه؟

قال آنى: الملك العظيم رمسيس.. لقد وصلتنا أنباء انتصاره فى حملته ضد الحيثيين، وعاد إلى طيبة، وعليه أن يضع الغنائم والأسلاب أمام آمون رع فى معبد الكرنك.. سوف يكون مكاننا ضفة النهر.. عندما يصل فى قاربه الملكى سنكون فى استقباله، ونصحبه إلى المعبد يتقدمنا الكاهن الأكبر.. ألم تشترك من قبل فى هذه المناسبات؟

ظل راشد فى دهشته.. مشغولاً بحساب السنوات التى تفصل بينه وبين ضيفه، كما قرأ عنها فى حصص التاريخ وكتبه قبل أن يترك المدرسة.. يتذكر الآن الأستاذ كامل مدرس التاريخ الذى كان يحب مادته وجعلهم هم أيضا يحبونها ولا ينسون ما عرفوه عن تاريخ المصريين القدماء، لقد درس أن رمسيس كان يحكم نحو عام ١٣٠٠ قبل

الميلاد، قال له آنى:

- لماذا لا تجيب؟ .. هل اشتركت فى الاحتفالات الملكية من قبل.. ألم تر الملك الفرعون؟

قال راشد ببطء: يا آنى.. أنت كنت تعيش منذ ثلاثة آلاف عام.

صمت آنى، وعاد يتلفت حوله، ثم سأل راشدًا وقد حاصرته الدهشة: ماذا تقول؟

قال راشد ببطء مرة أخرى: نحن الآن فى سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد، وأنتم كنتم تعيشون قبل الميلاد بألف وثلاثمائة عام.. أى أننا جئنا بعدكم بأكثر من ثلاثة آلاف عام.

قال آنى: ما هذا الميلاد الذى تقيسون قبله وبعده؟

قال راشد: يوم ولد عيسى عليه السلام. اعتبره الناس بداية لتسجيل الأحداث ومعرفة التواريخ.

سأل آنى: ومن عيسى؟

قال راشد: رسول بعث به الله إلى البشر ليهديهم إلى الحق.

قال آنى: كان يمكن أن يبعث الكاهن الأكبر.

فى ذهوله لا يزال راشد.. قال:

- هذه ليست المشكلة الآن.. المهم أنك تعيش فى غير عصرك لقد بقيت داخل التمثال وفى أعماق النيل ما يزيد على ثلاثة آلاف عام.

فتح آنى عينيه وفمه دهشة، وظل حائرًا يتلفت إلى أن قال راشد:

- انس ذلك مؤقتًا، وقل كيف تحولت إلى هدهد؟

تنهد آنى وحاول أن ينشغل عن مسألة الزمن.. كان الأمر صعبًا، لكنه تلبية لرغبة صديقه ومنقذ حياته قال:

(٧)

كنا نعيش أنا وأبى وأمى وإخوتى فى سلام وسعادة.. وكنت أنا وإخوتى نمتاز عن كثير من الأولاد بالذكاء والذاكرة القوية، كما كنا نحفظ تعاليم الرب كاملة.. وكان الناس يحسدوننا لهذا.. لكننا لم نهتم، يحاول كل منا أن يتقدم فى خدمة الإله آمون والملك الفرعون.. كل منا يحاول أن يكتسب كثيرًا من المعرفة.. لأن المعرفة ترفع الإنسان بين الناس وتجعل له مكانة.. وأنا لا أتحدث عن نفسى بالمديح إذا قلت لك إن الإله أكرمنى بالمواهب، فأنا أكتب الشعر وأتحدث إلى المعلمين والناس بطلاقة، ولا أطلب شيئًا أبدًا بمذلة، كما أنى لا أطلب أكثر من حاجاتى.

وكلما وجدت وقتًا بعد المدرسة أطعت أوامر أبى وعاونته فى عمله، ثم توجهت لخدمة الكهنة الذين يديرون كل الأمور فى معبد الإله آمون، وكنت حريصًا على أن أتلقى منهم الحكمة.. أجمل شىء يا راشد أن تكون حكيما والحكمة هى أن تستطيع التفرقة بين الحق والباطل.. ثم تقف إلى جوار الحق وتؤازر أصحابه بالأقوال الحسنة.. مهم جدًا للحق أن يؤيده صاحبه بالألفاظ المهذبة الهادئة.. فالحكيم هو الحليم.

فى مرة كنت أسير فى الطريق متجهًا إلى المدرسة فوجدت رجلاً قويًا، كان معروفًا بالغنى، يصرخ فى رجل فقير ويسىء معاملته، قلت: لعله أخطأ فى حقه، لكنه كان غليظًا ولم أحتمل أن أسكت فقلت له:

- لماذا تقسو على هذا الرجل.. هل هذا يسر قلبك؟ إن الظلم لا يتفق مع شيم الكرام.

صرخ الرجل القوى فى وجهى وصرخ فى وجوه كل الذين تحدثوا إليه بعدى، تذكرت ما قاله أحد الحكماء. فقلت له بهدوء:

- لا تنشر الرعب بين الناس، فهذا أمر يعاقب عليه الرب.. إنك تحسب أن الحياة أقبلت عليك فتسير فى الأرض مرحًا وتتكبر وتتجبر.. تأكد أنك ستجازى بالحرمان حتى من الخبز، إن من يتصور أنه أقوى من الآخرين، وباستطاعته أن يقتنص حقوق الآخرين فسوف ينزل الرب به العقاب.. الأفضل لك أن تغرس طيبتك فى قلوب الناس فيحبوك ودائما يحيوك.

عاد الرجل القوى يصرخ فينا ثم مضى، وهنا اقترب منى جارنا مِرى ماخر وقال لى:

- ما أجمل ما يخرج من فمك!!

وفى مرة قابلت صديقى حور كارع الذى كان يعين أباه فى دهان بيته، ويطيعه فى كل ما يأمره، فقلت له:

- قال الحكيم.. الابن النجيب هبة من الرب.. فهو الذى يعمل أكثر مما يؤمر به، ويفعل الخير ويضع قلبه فى كل أعماله ولا تسير الدنيا إلا إذا كان فيها هؤلاء النجباء.

- وهنا أيضا وجدت جارنا مرى ماخر يقول لى:

- ما أجمل ما يخرج من فمك

وتكررت المرات التى أفاجأ فيها بجارنا مرى ماخر يتابعنى حتى أجده فى كل مكان ويسمعنى، ويقول لى نفس الكلمات.

كان هذا الجار عنده ثلاث بنات يقمن فى البيت.. لم يتزوجن.. ولم يجدن أى عمل.. ولم يتعلمن.. ويعرف الكل أن بعقولهن خللاً، ويعرفون ما هن عليه من بلاهة.

وفى يوم دعانى مرى ماخر إلى منزله فاعتذرت بانشغالى، فأصر.. ولم أرض أن أرد رغبة جارنا كبير السن وصديق الوالد.

لما جلست جاءت زوجته وسلمت على، وسألتنى:

ـ لماذا ذهبت إلى المدرسة ولم تذهب لتتعلم أية مهنة؟

قلت: لقد قال لى والدى: أضعك فى المدرسة مع أولاد العظماء، لكى أزيد فى تربيتك، وأعلمك مهنة الكتابة وهى مهنة عظيمة.

سألتنى: وهل تعلمت؟

قلت: تعلمت الكتابة، كما تعلمت نظم الشعر، وقدمت بعض قصائدى للكهنة، ولمعاونى الملك فى البلاط.

سألتنى: علمنا أنك موهوب بقوة السمع.. فهل هذا صحيح؟

قلت: نعم.. وأيضًا أشعر بالزلازل قبل وقوعها والرياح قبل هبوبها، وأشم رائحة المطر قبل سقوطه، وأحلل الهواء.. أعرف ماذا به وما الذى يصلح منه للإنسان، وماذا يضره.

قالت: رائع.. أنت فتى رائع.. عمك ماخز يحبك جدًا.

عندئذ دخل ماخر، وقدم لى كأسًا من شراب العنب.. شربته، ورأيته وهو يشعل نارًا ويلقى فيها بعض الأعشاب الجافة، فيخرج منها الدخان كثيف، ثم يتلو هامسًا ببعض الكلمات، ثم أفقت فإذا أنا كما أنا أجلس على المصطبة المفروشة بسجادة ملونة من الكتان، وزوجته إلى جوارى، وقد انقشع الدخان، وهى تقول:

ـ هأنت.. يا آنى أصبحت هدهدًا جميلاً .. الفضل كله لعمك ماخر، فهو ساحر بارع.

نظرت إلى قدمى فإذا أنا صغير، وقدمى فوق المصطبة قدم طائر. بسطت جناحى ورأيتها بطرف عينى جناحى طائر.

ـ لماذا فعل ذلك جارنا ماخر، حاولت أن أسأله عن السبب، لم أستطع .. لم أجد لى صوتًا تصورت أنها دعابة أو تجربة وسوف يعيدنى بعد استعراض مهارته أمامى.

سألته زوجته: ألن يطير؟

قال لها: لا .. لقد وضعت فى الوصفة التى صنعتها بالدخان سرًا يمنعه من الطيران.. سيظل هكذا

- سأظل هكذا!! لماذا فعلت بى هذا يا مرى ماخر؟

قالت زوجته وهى تدلك كفيها فرحًا:

- كانت أسرته تفخر به وتتيه، لن تفخر بعد اليوم. هذا الولد النجيب الذى لا مثيل له.. كان كل الرجال يحترمون والده من أجله، وكل النساء تنحنى لأمه تقديرًا لولدها الموهوب.. انتهت حياتك يا آنى عند هذا الحد.. ابق هنا مع أمك الجديدة وأخوتك.

تأملت وجه مرى ماخر لأول مرة.. كان قميئا.. كل ملامحه تحمل الشر.. أسنانه القليلة تتحول إلى أنياب وشعره يطول، وعيناه تطلقان الشرر، وكلما ابتسم فخرًا وابتهاجًا بفعلته البشعة، سقط قلبى فى قدمى وازدادت تعاستى.. وشعرت بثقل الحزن على نفسى فسالت دموعى.

جاءت البنات وهجمن على ليمسكننى، فقفزت من فوق المصطبة، إلى المصطبة الثانية، ووجدتنى بالقرب من النافذة، فصعدت إليها، وقبل أن تقبض على يد مرى ماخر. هبطت إلى الأرض، وسرت إلى بيتنا.

وجدت أبى يسأل إخوتى عنى، وبعد قليل سألت أمى، وخرج إخوتى يسألون، دون أن يهتموا بى حتى لكونى طائرًا لا يرونه كثيرًا. سرت وراءهم ونقرت أقدامهم، كانوا مشغولين عنى بالبحث عنى.. أدنو منهم لألفت نظرهم كى يشعروا أنى آنى.

الغريب فى الأمر أنى كنت أسمع صوت ماخر وهو ينادينى فأجد نفسى مدفوعًا لتلبية ندائه والعودة إليه.

لم يكن لى من شاغل إلا أهلى الذين كانوا يبكون باستمرار، وأنا أبكى أيضًا لأنى أصبحت فى عالم غير عالمهم.. وعالمى للأسف غير ناطق بالمرة، هذا ما فعله بى ماخر.

كان هذا الساحر الشيطان يراقبنى أينما ذهبت حتى قالت له زوجته مرة:

- ماذا لو اكتشف أمره ساحر آخر وفك سره؟

قال لها: لن يعرف سره غيرى

قالت له: ألا تذكر الساحر دواف، لقد فاق الجميع وعرف المجهول من الأسرار؟

قال ماخر: بالطبع أذكره، لكنه مات.

قالت زوجته: يمكن أن يظهر من يفوقه .. هكذا قال الآباء.. فوق الحكيم دائمًا أحكم منه، فلا تغتر.

قال ماخر: إذًا أجمده.. أجعله تمثالاً .. ونبقيه هنا معنا لا يتحرك.

قالت زوجته: ومن أدراك أن أحدًا لا يراه.. يمكن أن تدل إحدى بناتك الناس عليه.

فكر ماخر قليلاً ثم قال: إن سر وصفته يكمن فى الدخان ومادام لن يقترب من الدخان، فسوف يظل كما هو .

قالت زوجته: ربما تشتد الحرارة أو نشعل النار لسبب من الأسباب، أو يصل إليه الدخان بأية صورة.. عندئذ يعود إلى الحياة، ويسبب لنا المشاكل.

سألها حائرًا: ماذا أفعل إذًا؟

قالت وعيناها تلمعان، ووجهها ينفث رياح الشر:

- جمده وألقه فى النيل.. يظل إلى الأبد فى البرودة.

ابتسم ماخر لفكرة زوجته وقال:

- سأحيله إلى هدهد ذهبى وأكتب عليه.. هذا الهدهد ملك مرى ماخر عبد آمون المطيع.

كانت هذه الكلمات هى آخر ما سمعت، حتى عدت إلى الحياة على يديك.

لم تتح الدهشة فرصة لراشد كى ينطق.

انحنى آنى على التمثال وأشار إلى الكتابة المنقوشة على قاعدته، وقرأها لراشد ثم قال:

- هذا ما كتبه ماخر لعنه الإله ولعن زوجته

قال راشد: سيدخل النار إن شاء الله

سأل آنى: أى نار؟

قال راشد: نار الجحيم.. يوم البعث

سأل آنى: وكيف عرفت هذا؟

قال راشد: كل شىء هنا فى الكتاب؟

وأشار إلى القرآن الكريم الموجود إلى جوار آنى على المنضدة.

أمسك آنى الكتاب وسأله: ما هذا؟

قال راشد: هذه تعاليم الإله.

سأل آنى: وهل تقرأ فيه؟

قال راشد: نعم.. هل كان عندكم مثله؟

قال آنى: كنا نقرأ فى لوح حجرى، ونكتب على مثله.

قال راشد: غريبة.. حدثنى أبى أنه كان يقرأ فى الكتاب فى لوح.. آلاف السنين تمر والمصرى يقرأ فى لوح.

سأل آنى: ما هذه الكتابة؟

قال راشد: العربية

قال آنى: لغة أخرى غير الهيروغليفية.

قال راشد: نعم

سأله آنى: ولماذا تكتبون بغير لغتكم؟

قال راشد: لقد أصبحنا من العرب أصحاب هذه اللغة؛ لأننا آمنا بالدين الذى جاء إلى نبيهم محمد وهو رسول من عند الله.

سأل آنى: ألم تقل أن الرسول.. الرسول.. عيسى؟

قال راشد: أنت فعلاً ذكى يا آنى ولا تنسى .. عيسى كان قبل محمد، ولكن محمداً هو الأخير وطلب الإله منا أن نؤمن به كما نؤمن بعيسى، لكن رسالة الإسلام التى حملها إلينا محمد كاملة وشاملة وتحمل فى تعاليمها كل ما يلزم لصلاح الإنسان

ونفعه فى الدنيا والآخرة.. لا تشغل بالك الآن بهذا.. هيا إلى النوم.

قال آني: أنا لا رغبة لدى فى النوم، سوف أخرج لأرى مدينة طيبة بعد هذه الآلاف من السنين.

قال راشد: هذه ليست طيبة، إنها تبعد عنها خمسمائة كيلو متر جهة الشمال.

دهش آنى للمتغيرات الكبيرة بعد أن تحول إلى هدهد ومع ذلك مضى إلى الشارع بعد أن حذره راشد من الابتعاد، ثم قام فلف الهدهد وأعاده إلى موضعه.

(٨)

فى الصباح دخلت أم راشد على ولدها لتوقظه .. وجدته قد فرش على الأرض ونام، ومعه صبى أسمر الوجه.. كانا مستغرقين فى النوم.. قررت ألا توقظهما .. خاصة أن ولدها يحتاج للراحة.

أيقظت فريداً، وأيقظت ثريا التى كانت تبيت معها فى حجرتهاوبعد أن اغتسلا، حملا حقيبتهما ومضيا إلى المدرسة.

مع الضحى استيقظ راشد وآنى، وتعرفت الأم بالضيف الجديد، قال لها راشد إنه صديقه وقد قدم من الأقصر، وسوف يأخذه فى جولة ليرى معالم القاهرة.

بعد أن خرجا ارتد راشد بسرعة وهمس فى أذن أمه:

لقد تأكد أن الهدهد من الذهب.

- وكيف تأكد ذلك؟

- آنى هو الذى قال.

- ومن أدراه بالهدهد؟

- هذه قصة طويلة، عندما نعود فى المساء أحكيها لك.

تنقل آنى بصحبة راشد بين الشوارع والأحياء.. ركب السيارات ورأى الناس والعمارات الشاهقة.. شاهد الشركات الكبرى والمحلات والآثار والكبارى والأنفاق والحدائق العامة والميادين الفسيحة.

لم يكف عن الأسئلة ولم يتوان راشد عن الإجابة بقدر ما يعرف، وما لم يعرف كان يسأل عنه الأكبر منه والأعلم وخاصة الأستاذ كامل مدرس التاريخ، وتحدث الثلاثة طويلاً ورحب الأستاذ كامل بالضيف الذى يزيد عمره على ثلاثة آلاف عام، وطلب إليه عند المغادرة أن يعود لزيارته كلما سمحت الظروف.

اقتضى الحديث طبعًا أن يتوقفوا عند معظم الأحداث المهمة التى جرت وأثرت فى حياة المصريين طوال هذه القرون.

فى اليوم التالى استيقظا فى الفجر معًا وانطلقا للصيد.. كان خيرًا وفيرًا.. خرجا قبل العصر معًا لاستكمال الجولات وحرص راشد فى اليوم التالى أن يذهب معه إلى المتحف المصرى ليرى آثار أجداده وتماثيلهم وأوانيهم وكتاباتهم.

مضى آنى يشرح كل قطعة فى المتحف لراشد، كان سعيدًا جدًا وهو يرى تلك الآثار والمقتنيات ويدهش لطريقة حفظها فى صناديق زجاجية، وحولها حراسة مشددة.

فى اليوم التالى طلب أن يعود إلى المتحف، لكن راشدًا رأى أن يذهبا إلى الصيد، فرافقه آنى..

كانت الشكوى الوحيدة التى لم يتوقف آنى عن إطلاقها هى هذا الهواء الذى يتنفسه، فهو ملوث بالعوادم وكذلك الضجيج المزعج، وكلها من إنتاج هذه الآلات الملونة التى تجرى فى الشوارع بوحشية وجنون.

كانت زيارته للمتحف تمسح من روحه السخط والضيق، فكلما ذهب.. فرح بلقاء أهله وأحبابه.. وعاش عصره وما كان قبل عصره، وقرأ كتاباتهم على آثارهم.. وجد لغته وأثاثه ورجال زمانه وتنفس هواءهم واستعاد حياته معهم، وسقى روحه من عبق ذلك العهد البعيد الذى ينتمى إليه، وشعر أنه راغب فى أن يبقى فى هذا المتحف وبين هذه المعالم، حتى لو كان بينه وبين بعضها حواجز من زجاج.. يكفيه أن يقف فى حضرة الملوك الفراعنة العظام رمسيس الثانى ومن قبله مينا وخوفو وخفرع ومكاورع وزوسر وسنوسرت، وقبل هؤلاء الآلهة وخاصة الحبيب أوزوريس سيد الموتى.

بعد عدة أيام طلب آنى من راشد ووالدته أن يسمحا له بالعودة إلى طيبة، فهو لن

يتحمل أبدًا الإقامة هنا فى مدينة، يتعرض أهلها لهذا الكم الهائل من الملوثات والعوادم والإزعاج والزحام.

لقد استيقظ عدة مرات أثناء نومه صارخًا، خوفًا من هذه الآلات التى تهجم على الناس فى الشوارع لتقتلهم بلا رحمة، وأصحاب هذه الوحوش الحديدية أيضًا فى نظره قساة القلوب يفرحون ويتباهون بأنهم يحسنون قيادتها ويحركونها بسهولة، لكنها تنقض على الناس، ومهما كان الإنسان بعيدًا عنها فبإمكانها أن تقفز نحوه وتنهى حياته فى لحظة خاطفة.

كشف آنى لراشد عن مواضع فى بدنه ظهرت بها الأورام الصغيرة والدمامل والبقع، وقال له إنها تنتشر بجسمه بسبب هذا الهباب الذى تسقطه السيارات وتبثه فى كل شىء .. حتى العيون.. وقد رأى هذه البثور لأول مرة عندما كان ينزل للاستحمام فى النهر منذ ثلاثة أيام، فقد اشتاق إلى هذه العادة، لكنه عندما لاحظ الدمامل خرج ولم يستحم، ولما سأله راشد: لماذا لم يستحم؟ قال له إنه شعر بالبرد، ولم يرض أن يلوث ماء النهر، أو يتسبب فى الضرر للآخرين.

لم يستطع راشد أن يدله كيف يعود إلى بلاده، وتساءلت أم راشد:

- هل لا يزال أهلك أحياء؟

قال راشد: مستحيل طبعًا.

عادت تسأل: إذًا لماذا يصر على العودة؟ .. ابق معنا يا آنى

قال: لابد أن أذهب إلى المدرسة.. المؤكد أن الكاهن الأكبر سيعاقبنى لتأخرى.

قال راشد: لقد تغير كل شىء يا آنى، كما لاحظت.

قال آنى والحيرة ترتسم على وجهه:

- ربما الوضع هناك مختلف.

قالت أم راشد: أصبحت البلاد كلها تقريبا متشابهة، ابق معنا، وسنوفر لك ما تريد.

شكرها آنى وأصر على رغبته فى البحث عن وسيلة للعودة إلى طيبة.

فى اليوم التالى، وهما يقومان بالصيد، رأى راشد باخرة كبيرة تبحر فى النيل متجهة إلى الجنوب، وكان قد تعود على رؤية هذه البواخر الجميلة التى تنقل السياح من القاهرة إلى الأقصر وأسوان والمنيا وإسنا وإدفو وغيرها من البلاد التى تمتلئ بالآثار المصرية القديمة.

عندئذ تذكر راشد خاله الذى يعمل فى الشرطة النهرية.. الشرطة التى تقوم على خدمة النيل وحراسته من عبث العابثين، وتنقذ المشرفين على الغرق والمستغيثين بها، كما أنها تستخرج جثث الذين غرقوا.

كان مرسى زوارق الشرطة النهرية مواجهًا للمكان الذى يصيد فيه راشد وآنى، لكنه على الشاطئ الآخر.

توجه إلى هناك وسأل عن الرقيب يحيى، ولما وجده طلب إليه أن يساعد صديقه آنى فى ركوب إحدى البواخر المسافرة إلى الأقصر.

وعده الرقيب يحيى بالمساعدة، وقال:

- المطلوب من آنى أن يستعد ويحضر إلى المرسى ويبقى معى إلى أن تظهر أية باخرة.فلا..أعلم مواعيدها. وإذا لاحت لنا واحدة ركبنا اللنش واتجهنا إليها.

كتب راشد عنوان منزله فى ورقة وسلمها لآنى وطلب إليه أن يراسله ليعرف أخباره، ولن يستطيع آنى بالطبع الكتابة بالعربية، ولكن بمساعدة صديق أو جار يمكن أن يكتب له ما يريد.

سلم الجميع عليه بحرارة، خاصة أم راشد وعادوا يطلبون إليه أن يبقى.. لقد سعدوا به جدًا، ونعموا بإقامته الخفيفة المريحة، خاصة أنه كان دائمًا يحب النظافة والنظام ويردد تعاليم الحكماء التى يحفظها وينفذها، وهى تشبه بالضبط تعاليم الأديان خاصة الدين الإسلامى الذى أراد الله له أن يشتمل على الكثير من هذه التعاليم والتوجهات المؤدية لسلوك بشرى حميد.

لقد لاحظوا حبه للعمل والتعاون وبعده عن الأنانية، وحبه للحق والصدق فى كل ما

يقول، ورفضه الشديد للكذب والنفاق، وقد حدثت الكثير من المواقف التى أكدت ذلك لهم، ولذلك كانوا متمسكين به، يشعرون أنه كائن نادر وجميل، لا يجب أن يفقدوه أبدًا.

استعد آنى وودعه راشد وتركه للرقيب يحيى .. ظل آنى نحو ساعتين ينظر وهو يجلس على شاطئ النيل، ولما أطلت باخرة من بعيد، استأذن يحيى رئيسه الضابط شادى ليوصل آنى، فوافق، وأخذ يحيى معه مساعده ليبقى فى اللنش، وصعد يحيى وآنى إلى الباخرة، وعرض الأمر على القبطان فأبدى ترحيبه بابن من أبناء الأقصر العريقة، على شرط أن يعمل آنى ولو فى التنظيف أو خدمة المقهى أو المطعم لأنه لا يقبل أن يكون بالباخرة عاطل.. وافق آنى سعيدًا.

وما هى إلا لحظات وبينما كان يحيى يودع آنى ويقبله ويدعوه للمراسلة، كان راشد يجذف بأقصى قوته ليحضر لحظة الوداع مع العزيز آنى الذى كان لا يزال واقفًا على حافة الباخرة ممسكًا بسورها الحديدى..

سار يحيى إلى جوار الباخرة بالزورق عدة دقائق ليترك شعورًا بالأمان فى نفس آنى، وأيضًا فى نفس القبطان حتى يرعى آنى ولا يتركه كأى خادم عادى.

ما إن عاد راشد إلى بيته فى هذا اليوم حتى عرض على أمه رغبته فى الالتحاق بالدراسة من جديد ولو فى مدرسة مسائية، وإذا تعذر فلتكن صباحية ويكفى أن يعمل بالصيد ساعات الغروب والمساء.

لقد أثار آنى فى نفسه حماسة للعلم، وشجعه على أن يطلبه حتى آخر يوم فى عمره.

فرحت أمه وأيدت الفكرة بشدة، وتمنت أن يوفقه الله ويعينه، وهكذا.. أوى راشد إلى فراشه وهو يفكر بالدراسة وكأنه لم يسمع عنها من قبل، وأنها أمل كبير وأمنية غالية.. ظل مستيقظًا يفكر فى زملائه الذين سيعود إليهم، ولكن بعقل جديد وراشد .. جديد. وفجأة طاف بخياله آنى، فتراجعت صورة المدرسة وبدأ يفكر فى آنى، وتعجب من نفسه.. لأنه لم يحب أحدًا من زملائه كما أحب آنى.. وعادت صورة المدرسة، مبنى فخم وجميل وهو يجلس فى أول المقاعد فى أول يوم فى الدراسة وإلى جانبه زميله الجديد.. من.. إنه آنى.. ابتسم راشد لهذه الأطياف والأحلام، ثم استسلم راضيًا للنوم.

(٩)

بعد ثلاثة أسابيع كان راشد يهبط إلى زورقه قبل شروق الشمس والضوء الرمادى الشاحب يغلف كل شىء، حيث لا يرى الإنسان إلا لمسافة قصيرة والأبعد من ذلك.. بين بين.. فوجئ بمن يركب زورقه ويرمى شبكته فى النيل ليصطاد، ولما دنا، سمع من يصيح به قائلاً:

- لقد تأخرت يا راشد

حدق راشد محاولاً التعرف على صاحب الصوت، لم يستطع أن يحدد من يناديه.. ورأى القارب يدنو من الشاطئ، فإذا به يجد بداخله آنى واقفًا يبتسم..

تعانق الصديقان وقال آنى:

- جئت أزورك ساعة أو ساعتين، سوف تقوم الباخرة غدًا فى التاسعة صباحًا من أمام التليفزيون ولدينا عمل كبير وتجهيزات للرحلة.

- أية باخرة؟

- الباخرة التى أعمل عليها.

- تعمل عليها؟

- نعم.. الباخرة التى ركبتها بمساعدة خالك.. طلب قائدها أن أعمل بها لقاء إقامتى بها وطعامى فقبلت.وعندما رست فى طيبة.

- فى الأقصر.

- فى الأقصر.. لا بأس.. لابد أن نواكب العصر..

ضحك راشد لهذه اللغة الجديدة، واستأنف آنى:

- نزلت منه، وبحثت عن أى شيء يمت لنا بصلة فلم أجد، إلا البر الغربى وفيه المقابر فقط والرمال فقررت العودة واللحاق بالباخرة التى كان من المقرر أن تبقى بالأقصر ثلاثة أيام.

وافق القبطان على أن أظل فى خدمة الباخرة، وكان راضياً هو ورفاقه عن عملى وسلوكى.. الحمد للرب آمون.

- قل الحمد لله فقط.

- الحمد لله .. ثم سافرنا إلى أسوان ومكثنا بها عدة أيام وعدنا إلى القاهرة أول أمس، وسوف نغادر غداً.

- هل أنت سعيد بالعمل فيها؟

- سعيد جداً.. لكنى مازلت غير مرتاح لهذا التلوث الزائد، إن لحم جسمى يجرنى للهرش، كأنى أجرب، وعندى دائما احتقان فى الزور، سوف أبقى مع هذه الباخرة لأتأقلم وأنسجم مع المتغيرات الجديدة، وأتعلم بعض الأمور العصرية ثم اتجه للعيش فى الجنوب.. فى أسوان وربما جنوبها البعيد.

- ولماذا تختار هذه المناطق بالتحديد؟

- قلت لك إن جسمى يدلنى على الأماكن الصالحة للإقامة، وأهم عنصر هو الهواء وكذلك الماء، وهواؤكم ملوث جداً، إنه أقرب إلى السخام وقل مثل ذلك على المياه.. جسمى يخبرنى أن الجنوب أفضل، وسوف أمضى إلى هناك حتى لو عشت وحدى.

- لن تعيش وحدك أبداً، فالمناطق النقية فى بلادنا كثيرة، وإذا أردت الجنوب، فيمكنك أن تعيش وتعمل فى منطقة جديدة ونظيفة تماماً هى توشكى.

- أين توشكى هذه؟ .. لقد تردد اسمها عدة مرات فى الأيام الأخيرة.



- إنها تقع جنوب غربى أسوان، وهى البيئة المثالية التى تبحث عنها أنت.

- وأنت أيضًا. سوف أذهب إليها بعد عدة أشهر، على أن تلحق بى أنت وأسرتك.. إننى أحبك جدًا ولابد أن تكون معى.

- اطمئن .. سأكون معك دائمًا.. وأهلى أيضًا لا يودون فراقك.. أنا سأخبرهم بحضورك، وفى انتظارك عند غروب الشمس.. سنقضى الليلة معًا.. تعال لتهنئ والدى بالخروج من المستشفى.

- ألف مبروك .. سوف أحضر إن شاء الله.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org

E - mail : info @egyptianbook.org